

المحاضرة التاسعة

مادة مصادر ومناهج البحث

مصادر تاريخ سوريا القديمة

لنتبع مصادر تاريخ سوريا يجب تقسيمها إلى قسمين:

أولاً مصادر دراسة عصور ما قبل التاريخ:

تكاد البحوث الأثرية عن عصور ما قبل التاريخ تتركز في سورية الجنوبية ، فيما عدا بعض المناطق المبعثرة في الشمال ، مثل منطقة العمق ، أو في الشرق والوسط مثل مناطق حماة وجبيل وقرقيش. وتتمثل مصادر هذه المرحلة على الآثار المادية مثل الكهوف وما بها من نقوش ورسوم ، والمساكن والأدوات الحجرية والهياكل العظمية والأواني الفخارية والمعدنية.

وقد ثبت من الناحية الأثرية أن أقدم المستوطنات تعود إلى العصر الحجري القديم، حيث أمكن الوصول عن طريق الكهوف إلى نتائج كشفت عن الكثير مما كان يحيط بهذه الفترة من غموض في هذه البقعة، التي كانت تتوسط المراكز الحضارية في العالم القديم ، وأهم الكهوف التي قام العلماء بدراساتها في لبنان وفلسطين ، كهوف عدلون (بين صور وصيدا) وكهوف نهري إبراهيم والكلب، وكهف انطلياس وكهف جبل الكرمل .

أما الأدوات الحجرية فقد كانت صناعة الانسان في العصر الحجري القديم المتوسط تشتمل على بلط يدوية ومكاشط ومطارق ، وفي نهاية هذا العصر زحف الجفاف علي البلاد وظهرت الأدوات القزمية.

أما خلال العصر الحجري الحديث فتقدمت فيه الزراعة وتربية الحيوان وصناعة الأدوات الحجرية ، وظهرت صناعة الفخار وتم اكتشاف المعادن، وبذلك حلت محل الأواني التي كانت تصنع من الجلد أو الخشب المجوف أو قطع الحجارة، واستخدمت الأواني الفخارية في الطهي وتخزين الحبوب ، لأن الانسان بعد أن كان في مرحلة البداوة جامعاً للطعام سيطر على موارده وقام بحفظه ، فظهرت الأطباق والكؤوس، وزخرفت الأواني برسوم هندسية ونباتية متعددة الألوان.

ثانياً مصادر دراسة العصور التاريخية :

تنقسم مصادر دراسة العصور التاريخية في سوريا إلى:

أولا الكتب السماوية:

كما ذكرنا من قبل نقصد بالكتب السماوية التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ، وقد تعرضت جميعها لكثير من الأحداث في الإقليم السوري (الذي يشمل الآن فلسطين ووسوريا ولبنان)، وسنتناول هنا بعض الإشارات لسوريا القديمة .

أ – التوراة:

لقد تحدثت التوراة أو العهد القديم في كثير من أسفاره عن علاقة مصر ببني اسرائيل منذ تشريف أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام أرض الكنانة بالزيارة (تقريباً خلال عصر الأسرة الثانية عشرة) وحتى نهاية دويلتهم التي أقاموها على أرض كنعان في عام 586 ق.م، وحدث السبي البابلي المشهور 586 – 539 ق.م، ثم قيام الجالية اليهودية في مصر خلال الحكم الفارسي.

– الإنجيل:

جاء في الاصحاح الثاني من إنجيل يوحنا ما يشير إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، حيث أن السيد المسيح قال لليهود: "لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم"، وقد ارتبط سيدنا إبراهيم بقيام الدول في منطقة الهلال الخصيب وفي فلسطين وكان على علاقة تامة بالحجاز، حيث نشأ في أور وانتقل إلى أشور، ثم انتقل بدعوته إلى خليج العقبة وإلى الحجاز.

ج – القرآن الكريم:

في التاريخ السوري القديم فكما قدم القرآن الكريم عن طريق قصة سيدنا موسى عليه السلام، كثيراً من المعلومات عن الحياة السياسية والاجتماعية في مصر القديمة، فقد قدم لنا من خلال قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كثيراً من المعلومات عن الحداية الدينية في العراق وسوريا وما بها من عبادة الأوثان، كما أشار إلى عبادة المعبود بعل ، كما أنه من خلال قصة سيدنا يوسف عليه السلام تعرض لبيئة تاريخية معينة جرت أحداثها في فلسطين ومصر.

ويلاحظ على سرد القرآن الكريم لقصص الأنبياء والأمم السابقة استخدامه لبعض مفردات وتعبيرات من بيئة أصحابها، ولا شك في أن هذا

الجانب يعد أحد جوانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ومدى دقته في نقل وقائع حدثت منذ زمن بعيد جدًا عن فترة الرسول صلي الله عليه وسلم.

ثانيًا الآثار السورية:

أ – المساكن :

لعل من أهم الآثار الدنيوية التي عثر عليها قصر "ياريم ليم" الذي عثر عليه في الألاخ، وقد شيده الملك "ياريم ليم" في موقع مقر حاكم سابق ، وكان يغطي مساحة قدرها 100 × 30 م ، ويشبه هذا القصر السوري القديم الذي يؤرخ بـ 1700 ق.م في طريقة بنائه قصر كنوسوس في جزيرة كريت .

ب – وثائق إيبلا:

هذه الوثائق لا تحوي نصوصًا تاريخية كالكتابات النذرية أو التذكارية التي تشير في ثنايا سطورها إلى بعض الأحداث السياسية، بل تتألف من عدد كبير من النصوص الأدبية والإدارية والقضائية ، كذلك فإن الجزء الأكبر من هذه النصوص عبارة عن تسجيل حسابات تتعلق بشؤون المال والاقتصاد(منها مثلاً سجلات مالية كإيصالات مدفوعات أو شعارات دفع الجزية والرسوم والضرائب وإيصالات توريد واستلام بضائع، إلى جانب جزء محدود من النصوص الشرعية، أما النصوص التي تعالج مسائل سياسية فهي نادرة للغاية.

وبذلك تكمن القيمة الحقيقية لوثائق إيبلا أنها حفظت لنا مجموعة هامة من المراسيم الإدارية لحكومة مركزية في مدينة سورية عظيمة الشأن وسحيقة القدم.

2 – وثائق ماري :

تعد وثائق ماري من أقدم المصادر التي تتناول تاريخ سوريا القديم خلال الألف الثاني قبل الميلاد ، فتذكر ملك ماري "يخدون – ليم" في وثيقة التأسيس أنه سار بجيشه إلى شواطئ البحر المتوسط، وأخضع البلاد لحكمه ، ولكن نفوذه هناك لم يدم طويلاً ، إذ يذكر في الوثيقة نفسها أنه قام في العام نفسه بمحاربة أمراء الفرات الأوسط الذين وقفت بجانبهم قوات المدعو "سومو إيبوخ Sumueupuch" ملك "يمحاض" ، وهذه تعد أول إشارة لحاكم "يمحاض".

ثالثاً نصوص الحضارات المعاصرة:

تعد نصوص الحضارات المعاصرة من أهم مصادر تاريخ سوريا القديم، خاصة الحيثيون والمصريون والآشوريون ، فمنها تم معرفة الفنون والصناعات وبناء الأساطيل.

أ – النصوص الحيثية :

أدت الحفائر التي بدأت في بوزازكوي عام 1906 على يد بعثة ألمانية برئاسة "هونجوفينكلر" ومن بعده آخرون إلى الكشف عام 1907 عن أرشيف ملكي يتألف من ألواح طينية كتبت باللغات الحيثية والبابلية ، وتتحدث تلك الألواح عن أعمال الملك الحيثي " خاتوشيلي الأول Hattushili I " تقريباً 1650 ق.م، وقد وجد بينها عرض مختصر لحملات هذا الملك على سورية.

ب – النصوص المصرية:

تعود العلاقات المصرية السورية إلى بداية التاريخ المصري القديم، فطبقاً لأسطورة أوزير وإيزة أن التابوت الذي وضع فيه أوزير ألقاه البحر المتوسط على شاطئ جبيل (في لبنان) فأظلمت هناك شجرة مقدسة واحتوته في جوفها ، وأخذت إيزة تبحث عن جسد زوجها حتى بلغت جبيل واهتدت إلى الشجرة، واستخلصت جسد زوجها منها وحملته إلى مصر، حيث أعادت إلى بدنه روحه، وقد عثر على آثار من الأسرتين الثانية والرابعة في بيبيلوس، وهي تحمل أسماء ملكية منها ما يخص الملك "خع سخموي" والملك "خوفو".

وخلال عصر الدولة القديمة أرسلت الأساطيل التجارية المصرية إلى سوريا لإحضار أخشاب الأرز ، حيث أرسل الملك سنفرو أسطولاً مكوناً من 40 سفينة إلى فينيقيا لإحضار الأرز لصناعة المراكب الإلهية الملكية، واتسمت هذه العلاقات بالطابع السلمي بصفة عامة ، طالما لم يعكر صفو الحدود المصرية أي شيء.

وفي خلال عصر الدولة الوسطى نجد أن الملك أمنمحات الأول يتبادل الهدايا مع الملك الفينيقي "ابشمو – ابي " مقابل المحافظة على سبل التجارة المصرية إلى سورية، وهناك أيضاً ما يشير إلى خروج الملك أمنمحات الأول على رأس أسطول مكون من عشرين سفينة من خشب الأرز، وهو ما يؤكد

أهمية خشب الأرز السوري في صناعة السفن المصرية، وتشير أيضًا إلى استمرار العلاقات التجارية بين مصر وسوريا.

أما على المستوى العسكري فقد خرجت الكثير من الحملات العسكرية المصرية إلى الأراضي السورية بهدف تأديب البدو الذين كانوا يغيرون على الحدود المصرية.

رابعًا كتابات الرحالة اليونان والرومان:

تعد كتابات الرحالة اليونان والرومان أحد مصادر التاريخ السوري القديم ، ويأتي على رأسهم المؤرخ اليوناني هيرودوت، الذي ذكر في كتابه الثالث عندما تناول قائمة بمقدار الضريبة السنوية التي كا يتوجب على كل إقليم أن يدفعها للفرس خلال حكم الملك دارا الأول (521 – 485 ق.م): أن الأراضي السورية كانت ضمن الولاية الخامسة حيث قال: " ثلاثمائة وخمسون تالنت (وزنة) يدفعها سكان المنطقة الواقعة ما بين مدينة بوسيدون التي أسسها الأمفيلوكيون والتي تقع على الحدود بين قليقيا وسورية حتى مصر، باستثناء المنطقة العربية، التي لم تكن تدفع أي ضريبة على الإطلاق، وهذا الإقليم كان يضم الأراضي الفينيقية والقسم من سورية الذي يطلق عليه فلسطين وقبرص.